

ثقافة

دينير مشنتاف
denise.mechantaf@gmail.comجولة في متحف عصور ما قبل التاريخ اللبناني
الآباء اليسوعيون اكتشفوا الآثار في القرن 19

في خطوة نادرة كانت اشبه بمغامرة، اقدم عليها خمسة آباء يسوعيين في اواخر القرن التاسع عشر، اصبح لدى لبنان كنوز اثرية يعود جزء منها الى مليون سنة. حكاية شغف الآباء - الرواد بتعقب الآثار التي تركها انسان ما قبل التاريخ والتي تحكي حكايته، اصبحت بعد عصور حكاية متحف عصور ما قبل التاريخ اللبناني

اهمية ما تم انجازه على يد الآباء اليسوعيين في أواخر القرن التاسع عشر، هو في طريقة استثماره اليوم. متحف عصور ما قبل التاريخ اللبناني فتح ابواب التاريخ امام زواره، خصوصا تلامذة المدارس، وذلك بالعمل في المشاغل، بالرسم على الخزف والسيراميك وغيرها من فنون، بالاسلوب نفسه الذي اتبعه انسان تلك العصور. من هذا الباب يجعل المسؤولون في المتحف اطفال اليوم اكثر قربا من انسان العصور الغابرة باعتبارها قضيتهم كاختصاصيين في علم ما قبل التاريخ، من ناحية نقل الصورة الجميلة التي يرونها في انسان ذلك الزمن الى جيل هذا العصر، كي لا ينظر اليه على انه همجي. ابحاث علماء الآثار اكدت على ان الجذور البشرية كلها هي في انسان ما قبل التاريخ.

قصة انشاء متحف عصور ما قبل التاريخ اللبناني، ترويها مديرة المتحف الاختصاصية في علم ما قبل التاريخ الدكتورة مايا حيدر بستاني، في حوار مع "الامن العام".

كيف انشئ متحف عصور ما قبل التاريخ اللبناني، ومتى؟
انشئ هذا المتحف عام 2000 بقرار من رئيس جامعة القديس يوسف سابقا الاب سليم عبو. قراره هذا كان الهدف منه وضع الارث الثقافي والحضاري والعلمي الذي تحتضنه جامعة القديس يوسف منذ زمن بعيد في متناول المجتمع اللبناني والسياح الاجانب. من ناحية اخرى، لم نعد نرغب في ابقاء هذه القطع

الاثريّة في الخزائن، لانها في حال بقيت على ما كانت عليه لن يتعرف احد الى قيمتها الاثرية والى قيمة ما يستخلص منها من معلومات تاريخية.

كيف اكتشفت هذه الآثار وعلى يد من؟
اكتشفها الآباء اليسوعيون في اواخر القرن التاسع عشر، فكانوا الرواد في هذا المجال وفي مجالات اخرى، كالجيولوجيا والطب وغيرها من علوم. رغم اهمية ما انجزه الآباء - الرواد من اكتشافات اثرية، بقي البحث عن انسان ما قبل التاريخ من اهتماماتهم الثانوية مقارنة بادوارهم الاكاديمية والروحية. لذا، من المهم القول، هنا، ان بحث هؤلاء الآباء عن آثار انسان ما قبل التاريخ لم يتناقض مع ايمانهم بالله، فمضوا نحو اول نقطة انطلاق لانسان تلك العصور. لا نعني بكلامنا هذا الفينيقين، بل من سبقهم بكثير. تمكن الاب زومفين السويسري الاصل وعالم الجيولوجيا من ان يكون المكتشف الاول لآثار انسان ما قبل التاريخ في اواخر القرن التاسع عشر، ليليه اربعة آباء يسوعيين في المهمة نفسها، هم الآباء، بيرجيه وبوفيه لايبير وفلاش واوور. من الضروري القول، هنا، ان القطع الاثرية المعروضة في متحف عصور ما قبل التاريخ اللبناني ليست من مجموعة الآباء اليسوعيين الاوائل فقط، بل من مجموعة علماء آثار اخرين اكملوا ما بدأه الآباء - الرواد لكنهم توقفوا في منتصف سبعينات القرن الماضي مع بداية الحرب في لبنان.

في اي مناطق اكتشفت هذه الآثار، والى اي زمن تعود؟
ارتكز الآباء اليسوعيون في بحثهم عن آثار انسان ما قبل التاريخ على المناطق المجاورة للاديرة التي عاشوا فيها، ككبفيا وتعنابل والجنوب والساحل الشمالي ومناطق اخرى بنسبة 70% من هذه المناطق، باستثناء منطقتي البقاع الشمالي والهرمل التي لم يقصدها هؤلاء الآباء لهذه الغاية. علما ان الطريقة التي اعتمدها الآباء اليسوعيون في استكشافاتهم الاثرية هي المسح وليس التنقيب او الحفر، اي البحث عن الآثار الموجودة على سطح الارض. نحن، في هذا المجال، نملك اقدم قطعة اثرية من عصور ما قبل التاريخ التي يقدر عمرها بمليون سنة، وهي كناية عن ساطور حجري كان يستعمله انسان ما قبل التاريخ كاداة سطح او كحافة قاطعة لتقطيع الحيوانات التي كان يصطادها.

كم يبلغ عدد القطع الاثرية في متحف عصور ما قبل التاريخ اللبناني، وهل تعود الى حقبة زمنية محددة ام الى كل الحقبات؟
يبلغ عددها 400 قطعة اثرية. اذا اردنا التوقف عند الحقبة الزمنية التي تعود اليها هذه القطع، علينا العودة الى ما يقوله علم ما قبل التاريخ بالنسبة الى لبنان والدول المجاورة، والذي يعترف بوجود اربع حقبات هي، العصر الحجري القديم والمتوسط والحديث والنحاسي. آثار هذه الحقبات كلها موجودة في متحف عصور ما قبل التاريخ اللبناني، علما انها معروضة كأنها تحكي حكاية انسان تلك العصور من خلال وضع الادوات التي ابتكرها كوسائل تؤمن له العيش بطريقة تخبر حكايته،



مديرة المتحف الدكتورة مايا حيدر بستاني.

بل عما اعتبره نادرا لانه لم يحفظ عبر الازمان في التربة الموجودة في لبنان.

هل ما زال لديكم قطع اثرية غير معروضة في المتحف، وكم يبلغ عددها؟
طبعاً لدينا وتقدر بالالاف. نحن لم نسع يوم تأسيس المتحف الى عرض كل القطع الاثرية التي نمتلكها، لاننا اخترنا من مجموعة الآباء اليسوعيين ما يخبرنا عن حياة انسان ما قبل التاريخ، باعتباره مخترع كل الادوات التي نستعملها في ايامنا الحاضرة، كالنار التي اكتشفها الانسان المنتصب، او كما يسمى ايضا، الانسان العاقل، والزراعة وتدجين الحيوانات. هذه المجتمعات لم تتقن الكتابة ولم تترك لنا نصوصا مكتوبة. لذا، كان التعاطي مع آثار هذه الحقبات الزمنية اشبه بعمل التحري الذي يطرح مليون سؤال للحصول على جواب واحد. ارتكزت اسئلتنا على معرفة طرق عيش انسان ما قبل التاريخ وحاجاته ومدى تكيفه مع محيطه الطبيعي، او معرفة خياراته من خلال الادوات التي ابتكرها والحيوانات التي كان يصطادها ويفضلها. انسان عصور ما قبل التاريخ امتاز بذكائه ومهاراته التي علمها لاولاده كوسيلة للاستمرار، وقدرته على التأقلم مع اي تغيير، ولو لم يكن كذلك لكانت البشرية قد انمحت.

اي صورة يراها الزوار في انسان ما قبل التاريخ من خلال القطع الاثرية المعروضة في المتحف؟

لدى الناس مفاهيم خاطئة عن انسان ما قبل التاريخ، اذ يعتبرونه همجيا خارجا من الكهف عاريا يكسوه الشعر، هذا صحيح وربما لاسباب معينة. لكن نحن كاختصاصيين في علم ما قبل التاريخ نجد انفسنا اكثر قربا اليه من الاشخاص الذين اختاروا لانفسهم اختصاصات علمية اخرى. انسان ما قبل التاريخ حساس جدا، وقد كشفت الطقوس التي اتبعها في دفن موتاه عن هذه الحقيقة، في وقت تتطلب ترجمة هذه الطقوس حذرا شديدا في

”
ارتكز الآباء اليسوعيون في ابحاثهم على المناطق المجاورة للاديرة

نملك في المتحف اقدم قطعة اثرية وعمرها مليون سنة

اللافت في متحف عصور ما قبل التاريخ اللبناني غياب قطع اثرية تجسد الطرق التي اعتمدها انسان تلك العصور في دفن موتاه، ما السبب؟

اليوم تأسيس هذا المتحف اخترنا مجموعة الآباء اليسوعيين الاثرية كقاعدة اساس للمتحف المذكور، فلم نستعن بمجموعات اثرية من متاحف اخرى. بما ان الآباء - الرواد اعتمدوا في ابحاثهم الاثرية على اسلوب المسح بنسبة 90%، فكان من الطبيعي الان نجد في مجموعتهم قطعاً اثرية تنقل لنا الطقوس التي اتبعها انسان

كعمله في الزراعة، مثلا، والادوات التي استعملها في هذا المجال، كالمجرقة والمنجل لموسم الحصاد. كل هذه المواضيع نتناولها مع زوار متحف عصور ما قبل التاريخ اللبناني من اجل ان نقول، الاداة هي اول اختراع للانسان. زوار هذا المتحف لن يجدوا الا الآثار المتعلقة بحقبات ما قبل التاريخ، لانه كمتحف متخصص في هذه العصور من دون غيرها، والتي تخبرنا من خلال القطع الاثرية المعروضة في واجهاته عن العادات والطقوس وطرق العيش التي اتبعها انسان تلك العصور.

ما قبل التاريخ في دفن موتاه. لكن اهمية هذه المسألة في عالم الآثار دفعتنا الى ابراز نصوص في واجهات المتحف باللغة العربية عن الطقوس الجنائزية التي كانت سائدة في عصور ما قبل التاريخ.

اي قطعة اثرية هي الاهم في متحف عصور ما قبل التاريخ اللبناني، وماذا تختصر؟

اجد صعوبة في تحديد الاهم من بين القطع الاثرية هذه. فانا كاختصاصية في علم ما قبل التاريخ لا ابحث عما هو اهم،

نختارها مسبقا، شرط ان تتناول حياة انسان ما قبل التاريخ مباشرة، مقتنياته، اختراعاته المرتبطة بطريقة عيشه. من ضمن هذه المواضيع اقترحنا لهذه السنة العمل على الخزف والسيراميك بأسلوب انسان ما قبل التاريخ، في رسمه على جدران الكهوف والحلي من خلال معطيات تاريخية وعلمية واثرية. هذا النشاط الفني - الاثري يشارك فيه تلامذة المدارس بنسبة 99%.

من هم زوار متحف عصور ما قبل التاريخ اللبناني؟
□ زواره من كل الاعمار بدءا بعمر الست والسبع سنوات، والشريحة الاكبر لهؤلاء الزوار هم تلامذة المدارس، اذ نخصص ساعة لكل زيارة لتقديم شروحات عن اثار المتحف باللغات الثلاث، العربية والانكليزية والفرنسية، الى ان يحين موعد عرض الفيلم. ضمن هذا النشاط هناك نشاط اخر في المشاغل حول مواضيع

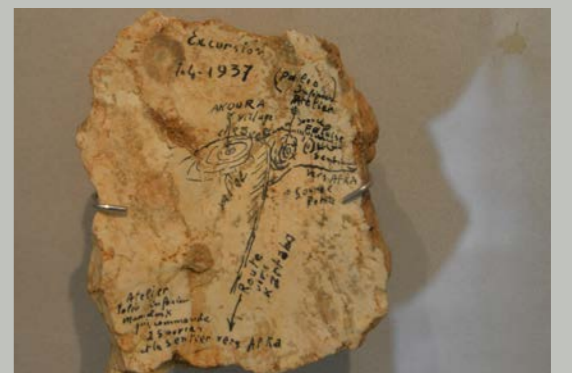
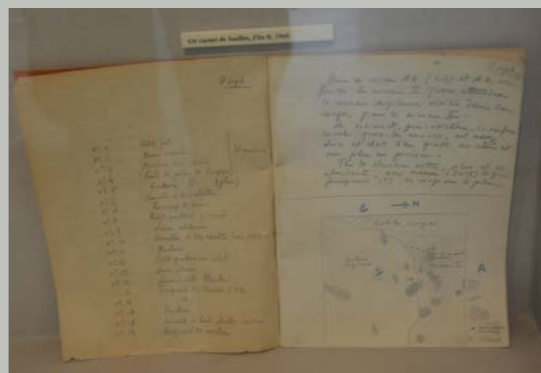
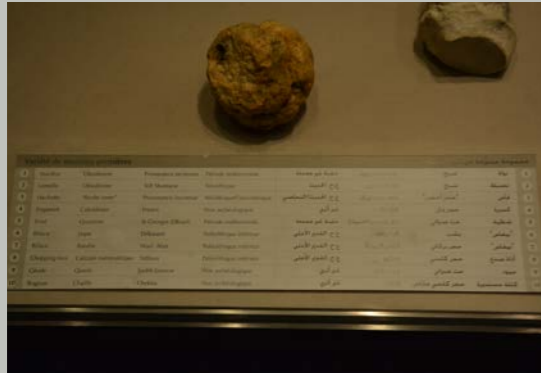
مناخ يساعدهم على ان يكونوا في مكان انسان ما قبل التاريخ وظروفه، قدر المستطاع، والبيئة التي عاش فيها. ابطال هذا الفيلم هم علماء اثار ابرزوا في عملهم هذا الطريقة التي كان يتبعها انسان ما قبل التاريخ في تصنيع الادوات الصوانية والاوواني الخزفية. في علم الاثار تكتسب الافلام السينمائية اهمية كبرى في العالم، لكنها لا تنفذ في لبنان بسبب كلفتها المادية الباهظة.

البحث عنه هل سنجده يوما ما، لا اعتقد ذلك.
□ اعددتم فيلما عن انسان ما قبل التاريخ لعرضه امام الزوار، ما اهمية هذا العمل واي جوانب يظهرها عن انسان ذلك الزمن؟
□ تم تصوير هذا الفيلم في مناطق برية في لبنان لم يصل اليها الباطون والاعمد الكهربية، وذلك من اجل تحقيق الغاية التي اردناها للزوار، وهي وضعهم في

طبعاً لا، وهذا ما اراه جميلاً. ندرس حقبات بعيدة زمنياً حوالي ملايين السنين نركز على ما تبقى لنا من انسان تلك العصور، وعلى الاشياء التي وصلت الينا والتي لم تضمحل بفعل الزمن، لان ما كشفتها عمليات التنقيب والحفر على يد علماء الاثار تقول لنا ان ما بقي من انسان ما قبل التاريخ هو الادوات التي ابتكرها لحاجته اليها في حياته اليومية. اما هو فلا وجود له. لكن ان واصلنا

التعامل معها. في حياة انسان ما قبل التاريخ جوانب مهمة، منها بناء القرى قبل تدجين الحيوانات والبدا بالزراعة، والعيش الى جانب الحقول. في كل قطعة اثرية وفي كل بحث نقوم به يؤكد لنا على ان الجذور البشرية كلها هي في انسان ما قبل التاريخ.

هل قدمت اثار متحف عصور ما قبل التاريخ اللبناني صورة وافية عن انسان العصور الاولى؟



Le plus vieil objet décoré au Liban أقدم قطعة مزخرفة في لبنان